



## سحاب الكلام

د. فهد العرابي الحارثي

### البروفيسور النائم

فوجئت بخبر «سري» نشرته احدى صحفنا المحلية المرموقة يفيد بان سائقا (فلبينيا او هنديا او غيرهما) تولى توزيع اسئلة الامتحان على الطلبة في احدى الجامعات، ثم قام بمراقبتهم اثناء الاجابة وتاديتهم الامتحان، يرافقه في هذه المهمة طفل صغير، لعله ابن استاذ المادة الذي اخذته غفوة نوم، ففوض السائق للقيام بمهمته في مكانه.

فوجئت بهذا الخبر وتذكرت بعض النكات والطرائف التي صاحبت فترة الطفرة، وكانت تتلاءم مع عوارض تلك الطفرة التي من أبرزها الخمول والترهل والانتكالية المفرطة. فالثروة التي داهمت الناس، في غزارة لم يسبق لها مثيل، تركت اثارا سلبية وعميقة على سلوكهم وطريقة تفكيرهم. فتكاثر دعاوى المشيخة، بين الاثرياء الجدد، والتف حول هؤلاء المساعدون والمعاونون والمستشارون والمطلوبون والمزمرون، واصبح دور «الشيوخ» الجدد هو النوم الى ساعات متأخرة من النهار، والسهر المتواصل بالليل، اما الفلوس فهي تتوالد وحدها، او بتدخلات قليلة من هؤلاء انفسهم او من مساعديهم ومعاونيهم الذين هم في الغالب من غير السعوديين.

رافق تلك الفترة ايضا موضة التباهي والتفاخر باعداد الخدم والسائقين. فاحتشدت البيوت والشوارع بهؤلاء، فوجدنا انفسنا امام جيل جديد من الناشئة المصابين بكثير من علل الكسل والانتكالية القميئة (بنين وبنات) ومازلت اذكر الربيبي ستر، الباريسية التي تقول باندهاش: لم اكن اتصور ان هناك اطفالا في سن الرابعة عشرة يضطرون الى الاستعانة بالخدم لمساعدتهم في ربط احزمة احذيتهم.

وهنا اذكر واحدة من النكات المرة التي رافقت تلك الفترة والتي مفادها: ان شابا خليجيا اشتكى لزميله، من قطر عربي آخر، مداهمة الامتحانات وشراستها، فما كان من الزميل الا ان اقترح عليه - ببساطة - ان يستقدم، باكستانيا او هنديا ليقوم بالمهمة نيابة عنه.

وما اقرب هذه النكتة من الواقعة الفعلية الحقيقية التي اشار اليها الخير «السري» الذي ذكرناه في بداية هذه المقالة، لا بل ان الخبر المذكور هو اشد مرارة واكثر غرائبية من النكتة نفسها. فكان بعض وجوه الواقع اقسى بكثير من بعض المبادرات الكريكاتورية التي تقال عنه من النكات والطرائف والعجائب.

وللحق والانصاف فان القصة غريبة تماما عن واقع اليوم، فهي اقرب ما تكون الى الواقع الاقل ايام المداهمة المفاجئة للثروة. او لعلها من باقي ذبول تلك الفترة.

ونحن نحسبها حالة فردية، ويصعب ان تكون اليوم حالة متكررة او متواترة، فملامح السلوك الاجتماعي او الوظيفي اليوم هي غيرها بالامس القريب، هذا فضلا عن ان المحيط الاكاديمي هو المحيط الاجدر بان يكون بعيدا عن مثل هذه الاعراض الخبيثة، لما يتحلى به - واجبا - من الجدية والصرامة، ولما يحصن افراده ومنسوبيه من العلم، وسلامة التفكير، وحصافة السلوك.

انه يصعب ان نصدق مثل ذلك الخبر (دون اي قصد الى التشكيك في مصداقية الجريدة) وهو اذا صدق، فلم يكن الهدف منه التنكيت او التبكيت، فان هذا الامر مفرغ حقا، ولا بد ان الجامعة المعنية ستقتصر تجاه الاستاذ «النائم» بما ينبغي، فهو غير جدير بالاستمرار في مهمته. وقد كان بإمكانه ان يطلب الى احد زملائه في القسم القيام بالمهمة، فلا يبعث الى قاعة الامتحانات سائقه وطفله الذي يزيد في غرائبية الصورة وفي سخفها الشديد.